ولا ندري إن كان خياله أملى عليه الاسم أم أن الاسم وصله من بين ما وصله من الأخبار عن ذلك التمثال الغائب. يقول المقريزي إنها طلسم الماء لأنها تحرس البلاد من جور الماء عليها، ولو قُدِّر له أن يعرف ما نعرفه الآن بعد فك رموز تلك المنمنمات المنقوشة حفرا على جدران المعابد لانتبه إلى أنها طلسم الماء بما يتجاوز تأويله.

قال الناظر: غدا أكتب حكاية إيزيس، مسعاها شمالا وراء صندوق مغلق على جثمان أخيها، الشجرة التي نمت حول الصندوق وجعلته جزءاً من جذعها، تحول إيزيس إلى طائر سنونو يحوّم صارخا حول الشجرة، وأكتب أيضا رحلتها جنوبا في الوادي لجمع الأشلاء المتناثرة، امرأة في ثوب الحداد تصير حدأة على فرع شجرة، تلتقط في جسمها الطائر بذرة حملها من زوجها القتيل... سأختصر، سأختصر كثيرا، أكتفي بالكلام عن عنفها وعويلها وفيض النهر من ماء دمعها وهي تسعى مفردة بلا أب ولا أم ولا زوج لاسترجاع شقيقها.

سحبه النوم وهو يفكر في تمثال بعينه يبرز «عقدة إيزيس»الأشبه بعروة حبل مشنقة مستقرة بين ثدييها الممتلئين. لماذا اختاروا تلك «العقدة»رمزا للخصب؟

استيقظ مع آذان الفجر. بقي في سريره ملتفا بغطائه الصوفي. هل أُدخل موضوعا على موضوع؟ إيزيس بعيدة كتمثالها الغائب. هل أكتب عن زينب وهي تودع أخيها؟

قامت تعد له الجواد وهي تقول: ما أجلَدَني، ما أقسي قلبي، أي أخت تعد لأخيها جواد المنيّة. ركب وسار قاصدا الميدان. نادته، التفت وراءه، قالت: أخي انزل من على ظهر فرسك. نزل. قبلته في نحره. شمّته في صدره. التفتت إلى ناحية المدينة وحدثت أمها، قالت: يا أمي، استرجعت الوديعة. سألها: أي وديعة يا أختي؟ قالت: حين دنت الوفاة من أمنا دعَتني إليها وقبّلتني في نحري، وشمّتني في صدري، وقالت لي: يا زينب إن رأيت أخاك